بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرَّحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة تكريت
كلّية التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربيّة.

سلسلة محاضرات تحليل النّصِّ القرآنيِّ لطلبة الصّف الثالث

المادّة : تحليل النَّصِّ القرآنيِّ .
مصادر المادّة : مصادر معجمية وكتب صوتيّة وصرفيّة ونحويّة ودلاليّة ، وكتب في إعراب القرآن الكريم ومعانيه وتفسيره .
مدرّس المادّة : م .د. مها نجم عبدالله
المحاضرة السابعة .
عنوان المحاضرة : تحليل سورة الكهف ؛ الآيات (٩ – ١٣) .
العام الدراسي : ١٤٤٧ ـ ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٥ ـ ٢٠٢٦ م .

(تحليـــلُ النَّصِّ القرآني)

تحليل (الآيات ٩ – ١٣) من قصّة أصحاب الكهف :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ ﴾ الكهف: ٩ - ٢٦

الحمدُ للهِ ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وبعد :

هنا نبدأ بتحليل آيات قصّة أصحاب الكهف، **وموضوعها الرئيس هو: (التوحيد ونبذ الشرك، معرفة الحقّ والثبات عليه، الفتية، الصحبة الصالحة، تمييز الفتن وهجرها)** .

ملخص قصّة أصحاب الكهف:

ممّا ذُكر في هذه القصّة أنّه في زمن من الأزمان كانت هناك بلدة من بلاد الرّوم تسمّى (طرطوس)، تسلّط عليها ملكٌ ظالم جبّارٌ مشرك يسمّى (دقيانوس)، وكان يعبد الأوثان ويقتل من يخالفه، وفي هذه البلدة فتيةٌ قيل إنّهم من سلالة ملوكِ الرّوم، وقيل من أعيانها، وفي يوم عيدٍ تجتمع فيه الناس في البلد خرج هؤلاء الفتيةُ لينظروا، فوجدوا النّاسَ يسجدون للأصنام ويذبحون لها ويتقرّبون بذلك إليها، فنظر هؤلاء الفتية ببصيرتِهم وعرفوا أنّ هذا كفرٌ بحقّ الله تعالى، وأنّ السجودَ والذبحَ لا يكونانِ إلّا للهِ وحدَهُ، فجعل كلّ واحد منهم يتخلّص من قومه وينحاز، حتّى تجمَّعوا، ووجدوا أنّ فطرتهم على الحق قد جمعتهم، فهربوا إلى الكهفِ، ومعهم كلبهم، فدخلوا الكهفَ، وربض الكلبُ على باب الكهفِ تأدّبًا بأن لا ينزلَ منزلهم، وآثروا العزلةَ منتظرين الفرج من اللهِ تعالى،

فأنامهم نومةً عميقةً طويلةً، ثمّ أيقظهم بعد ثلاثة قرون، وكان الأمر قد تغيّر في المدينة التي خرجوا منها، إذ هلك ذلك الحاكمُ، وجاء بعده ملك عادل، فلما بعثهم اللهُ تعالى من نومهم أرسلوا أحدَهم إلى المدينة ليجلب لهم طعامًا بحذرٍ من غير أن يشعر أحدًا، فوجد المدينة قد تغيّرت معالُمها، وهيأتها، وساكنيها، فظهر أمرُهم من شكل صاحبهم الذي أرسلوه والنقودِ التي كانت معه، حتى وصل أمرهم إلى الوالي ، فذهبوا يطلبونهم، لأنّ أمرهم كان معلومًا عند أهل المدينة، فلما وقفوا على كهفهم قضى اللهُ تعالى أن يقبضهم وأن يُظهر تلكَ الآيةَ من آياته في قدرته على الموت والحياة والإنامة وغيرها ، وحدث الخلافُ في مدّتهم وفي كيفيّة التعامل معهم [انظر: البداية والنهاية ٢/ ١٣٤ – ١٣٨].

نبدأ بقراءة النّصّ بشكلٍ جيّد ، وملاحظة الروابط فيه ، وأنّه يرتبط بموضوع افتتاح السورة المباركة ، ونحلّل النّصَّ كل خمس آيات منفصلات ليسهل ذلك للدراسة .

النّصّ القرآني :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ الكهف: ٩ - 31 .

معاني المفردات: أم حسبتَ: بل أ ظننتَ، الكهف: النقبُ المتَّسِعُ في الجبل، وإن لم يكن متّسِعًا فهو غار، الرّقيم: اللّوح الذي فيه أسماؤهم وقصّتهم، أوى الفتية: التجؤوا هربًا، والفتى: هو الشّاب المكتمل، آتنا: أعطنا، (من لدنكَ): من حضرتك القدسيّة، وخزائن عطائكَ، هيّئْ: الهيئة: حالُ الشيء وكيفيتهُ، هيَّأَ الأمرَ: أصلحهُ وجهَّزهُ، وهنا بمعنى: قَدِّرْ لنا ويسّرْ لنا وقرّبْ لنا، من أمرنا: المراد بأمرهم ما كانوا عليه من تركهم لأهليهم ومساكنهم ، ومن حالهم مع قومهم في مفارقتهم العقائد الفاسدة، رَشَدًا: اهتداءً إلى طريق الحقّ، فضربنا على آذانهم: أنمناهم إنامةً عميقةً، بعثناهم: ايقظناهم من نومهم، أمدًا: الأمَدُ: مدّة من الزمانِ، وقد يكون لها حدٌّ معلوم أو مجهول، نبأهم: النّبأ: الخبرُ الذي له أهمّية بالغة ويحصل به علم أو غلبة ظنّ.

المسائل الصوتيّة ومسائل رسم المصحف البارزة في هذا النّص:

١. إظهار النون الساكنة في: ((مِنۡ ءَايَتِنَا)) و ((مِنۡ أَمۡرِنَا))، وسبب إظهارها هو مجيء أحد حروف الإظهار بعدها وهو حرف الهمزة ، والإظهارُ: في اللغة معناه البيان، وفي اصطلاح علماء التلاوة أن تنطق بالنون الساكنة أو التنوين نطقا تامّا ظاهرًا من دون أن يتأثّر بغيره، فتبقي على ذات الحرف وصفته، ويكون إظهار النون الساكنة والتنوين إذا جاء بعدهما أحدُ حروفِ الحلقِ السّتةِ وهي: (الهمزة ، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء).

٢. رسم الهمزة في كلمة ((وَهَيِّئۡ)) : جاءت الهمزة على الياء مع أنّها الحرف الأخير في الكلمة وذلك لأنَّها سُبِقَت بحرفِ متحرّكٍ ، وحركته الكسرة ، وهو الياء الثانية.

الصرف: الرقيم: وزنه: فَعيل بمعنى مفعول من الرّقم وهو الكتابة، آياتنا: آيات جمع: آية، ووزنها: فَعْلَة، أصلها: أَيْيَة، ثم قلبت الياء الأولى ألفًا، أوى: ثلاثي مهموز ناقص لأنّه معتّل الأخر.

الفتية: جمع قلّة، وزنه: فِعلَة، ومفرده: فتى، وآتِنا: فعل دعاء، أصله: آتَى، رحمة: مصدر للفعل (رَحِمَ) على وزن المرّة، هيّئ: أصله ثلاثي (هيَأَ) ثمّ ضُعّفَ عينه، آذانهم: آذان جمع أُذُن، ووزن آذان: أَفْعال، أصلها: أَأْذان، الأولى مفتوحة والثانية ساكنة فأبدلت الثانية ألِفًا، سنين: جمع سنة، أحصى: إمّا أن يكون فعلًا ماضيًا: (أحصى ـ يُحصي) أو أفعل تفضيل بوزن (أَفْعَل)، وهو من الإحصاء، أي: حصّل عدَّه وأحاط به.

الإعراب :

١. (أم) حرف منقطع بمعنى (بل والهمزة)؛ أي: المعنى لها يساوي: بل مع همزة الاستفهام، (حسبتَ): (حسبْ): فعلٌ ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، (التاء) ضمير متّصل مبنيٌّ على الفتح في محل رفع فاعل للمخاطَب المذكّر، والمخاطَب هنا هو النبيّ (صّلى الله عليه وسلّم)، (أنَّ): حرف مصدري للتوكيد، (أصحابَ): اسم (أنَّ) منصوب، وهو مضاف، (الكهفِ) مضاف إليه، (والرقيمِ): الواو حرف عطف، الرقيم: معطوف على (الكهف) مجرور، وجملة (أنّ أصحاب الكهف..) بتأويل مصدر في محلّ نصبٍ سدّ مسدَّ مفعولي (حسب) (كانوا): كان: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على الضّم لاتصاله بواو الجماعة، (الواو) ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع اسم كان، (من آياتنا): من آيات: جار ومجرور، و(من) للتبعيض، أي: من بين

آياتنا، وآيات مضاف، (نا) ضمير متصل مبني على السكون مضاف إليه، و(من آياتنا) متعلقان بمحذوف حال من (عجبا) وتقديره: عجبا كائنا من آياتنا، فـ (كائنا) يقدّر في الأصل صفة ، فقدمت فصارت حالا، (عجبا): خبر (كان) منصوب، وجملة (كانوا) في محل رفع خبر (أنَّ).

٢. (إذ): ظرف زمانٍ مبنيٌّ على السكون في محلّ نصب، متعلّق بـ (حسبت) أو بفعل مقدّر أي: اذكرْ، أوى: ماضٍ مبني بفتحٍ مقدّرٍ على الألف، الفتية: فاعل مرفوع ، إلى الكهف: جار ومجرور متعلّقانِ بـ (أوى)، (فقالوا): الفاء عاطفة، قالوا: قال: ماضٍ، وبني على الضّم لاتصاله بواو الفاعلين ، الواو: ضمير متّصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، ربَّنا: أصلها: يا ربّنا، نداء للدعاء، ربَّ: منادى للدعاء منصوب على التعظيم مضاف، (نا) ضمير مبني في محل جر مضاف إليه، (آتنا): آتِ: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلّة الياء، والفاعل مستتر وجوبا تقديره: أنتَ يعود على (ربّ)، (نا) ضمير متّصل مبني في محل نصب مفعول به أوّل، (من لدنْكَ): من حرف جرّ لابتداء الغاية، لدنْ: ظرف مبني على السكون في محلّ جرٍّ مضاف، (الكاف): ضمير متصل مبني على الفتح مضاف إليه، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من (رحمة) ، نحو: آتنا كائنةً من لدنك رحمة، (رحمةً): مفعول به ثانٍ، (وهيّئ): الواو عاطفة على (آتنا)، هيِّئْ: فعل دعاء مبني على السكون على صيغة بناء الأمر، والفاعل مستتر وجوبًا تقديره: أنتَ، (لنا) جار ومجرور، (من أمرنا): من أمر: جار ومجرور، وأمر: مضاف: (نا) مضاف إليه متعلّق بـ (هيّئ)، (رشَدًا): مفعول به، وجملة (ربّنا آتنا...) مقول القول لـ (قالوا).

٣. (فضربنا): الفاء عاطفة، ضربنا: فعل وفاعل، (على آذانهم) جار ومجرور متعلقان بـ(ضربنا)، وآذان: مضاف، (هِم) مضاف إليه، و(ضربنا) متضمن معنى: وضعناهم أو أنمناهم، أي بمعنى: ضربنا على آذانهم حجابا من أن تسمع، (في الكهفِ): جار ومجرور متعلّقانِ بحال من الضمير في (آذانهم)، أي: كائنينَ في الكهف، (سنينَ): ظرف زمان منصوب ملحق بجمع المذكّر السالم، متعلّق بـ(ضربنا)، (عددًا): نعت لـ (سنينَ) بمعنى: معدودةً، أو: ذوات عدد.

٤. (ثمَّ): حرف عطف للتراخي، (بعثناهم): فعل وفاعل ومفعول، (لِنعلمَ): اللام للتعليل، نعلم: مضارع منصوب بأنْ مضمرة بعد اللام، والفاعل تقديره: نحنُ، والمصدر المؤوّل من (أنْ نعلمَ) في محلّ جرٍّ بلام التعليل متعلق ببعثناهم، (أيُّ): اسم استفهام مبتدأ مضاف، (الحزبينِ): مضاف إليه، (أحصى): فعل ماضٍ، والفاعل مقدّر

تقديره: هو يعود على الحزب، ويجوز أن يعرب (أحصى) أفعل تفضيل خبر للمبتدأ وجملة (أيُّ الحزبينِ أحصى) سدّت مسدَّ مفعولي (نعلم)، (لِما): اللام: حرف جر، (ما) حرف مصدري، (لبثوا): فعل ماضٍ وفاعل، و(ما لبثوا): بتأويل ظرف ومصدر، أي: مدّةَ لبثِهِم، فالظرف في محل جرّ باللام، والمصدر في محل جرّ بالإضافة، و(أمدًا): مفعول به للفعل (أحصى)، وتمييز منصوب لمن أعرب (أحصى) اسمَ تفضيل.

٥. (نحن): ضمير منفصل مبتدأ، (نقصُّ): مضارع مرفوع ، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وجملة (نقص) في محل رفع خبر المبتدأ (نحن)، (عليكَ): جار ومجرور متعلّقانِ بـ(نقصُّ)، (نبأَهم): نبأَ: مفعول به منصوب مضاف، (هم) مبني في محل جر بالإضافة، (بالحق): جار ومجرور، متعلّقان بحال مقدّر من الضمير الفاعل في (نقصّ) أي: ملتبسينَ بالحق، أو ضمير المفعول في (نبأ) أي: ملتبسًا بالحق، (إنّهم): إنّ: حرف توكيد ونصب، (هم) اسم إنّ، (فتية): خبرها مرفوع، (آمنوا): فعل وفاعل، (بربّهم): الباء: حرف جرّ، ربّ: مجرور على التعظيم، وهو مضاف، (هم) ضمير مبني في محلّ جر بالإضافة، وجملة (آمنوا بربّهم) في محلّ رفع نعت لـ (فتية)، (وزدناهم): الواو عاطفة أو استئنافيّة، (زدناهم): فعل ماضٍ وفاعل ومفعول أوّل، (هدًى): مفعول ثانٍ، والواو إن كانت عاطفة فهي تعطف (زدناهم) على (آمنوا) فتكون الجملة في محل رفع نعتًا ثانيا لـ(فتية).

البلاغة :

١. جاء في الآيات طباق معنوي في قوله تعالى: ((فضربنا على ءاذانهم .... ثمَّ بعثناهم))، فالمعنى: أنمناهم ثم أيقظناهم .

٢. الضرب في قوله تعالى ((فضربنا على ءاذانهم)) كنايةً عن كونه أنامَهم، أي: ضربنا على آذانهم حجابًا مانعًا من السماع، ومعناه: أنمناهم إنامةً ثقيلةً.

المعنى العام :

{ ٩-١٢ } { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا } .

هذا الاستفهام بمعنى النفي، والنهي. أي: لا تظن أن قصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل اللهُ سبحانه يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها، في مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان.

وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهرا طويلا.

ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: { إذ أوى الفتية } أي: الشباب، { إلى الكهف } يريدون بذلك التحصّن والتحرّز من فتنةِ قومهم لهم، { فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة } أي تثبّتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير { وهيئ لنا من أمرنا رشدا } أي: يسِّرْ لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرارِ من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: { فضربنا على آذانهم في الكهف } أي أنمناهم { سنين عددا } وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة.

{ ثم بعثناهم } أي: من نومهم { لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا } أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: { وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم } الآية، وفي العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.

{ ١٣ } { نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى} :

هذا شروع في تفصيل قصتهم، وأن الله سبحانه وتعالى يقصها على نبيه بالحق والصدق، الذي ليس فيه شك ولا شبهة بوجه من الأوجه، { إنهم فتية آمنوا بربهم } ، أي: بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: { ويزيدُ اللهُ الذينَ اهتدَوا هدًى } [سورة مريم ٧٦] .

المناسبة :

لمّا استُفتحتِ السورةُ المباركةُ بالآيات الدالّة على فضل القرآن الكريم ، وأنّه ينذر الذين قالوا اتخذ اللهُ سبحانه ولدًا ، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنّ لهم الأجر الحسن وهو الجنّة ، وأنّ الدنيا لا بد أن تنتهي جاءت مناسبة ذكر قصّة أهل الكهف التي سألوا عنها رسولَ اللهِ (صلّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّم) ، فبدأ ذكرها .

وَفَّقَكُمُ اللهُ تعالى لِكُلِّ خيرٍ وَصَوابٍ .